15عاماً على رحيل صاحب القلب الكبير واليد المباركة البيضاء..

" شابا دكتور" ... رجل من ذلك الزمان...

اسم عرفته به ألقوش... وصار جزءً من تاريخها...

صورة للوالد شابا توما في التسعينيات.

كتابة: **رياض شابا**

*** جريح الحرب الذي اختار تطبيب الآخرين لحظة استخراج الشظايا من جسمه!**

*** من "مار ميخا".. سن الذبان.. بارزان.. طقطق.. الى... باره.. موصل.. ألقوش.. بغداد محطات ومواقف في رحلة نصف قرن.. ونموذج لعصامية الشباب عندما تبدأ من الصفر**

*** عاين وأسعف وعالج الالاف... فأصبح الطبيب والمضمد والصيدلي في ان... عايش جماعات وطوائف وملل... وتنقل بين مدن وقصبات وكان اهلها يودعونه بالدموع**

*** "زوار الليل" في "الزمن الصعب"... من هم؟ وما علاقته بهم ...؟**

***اغتالوا الشهيد "جندو" ظنا منهم انه توما توماس...**

*** حرّك قنينة الماء مرات ثم قال: هل يعقل لأنسان أن يشرب ماء كهذا يا "بيك"؟**

***** أقوال في سيرة الراحل:**

شابا توما في السبعينيات.

قبل البدء بسرد سيرته فيما يلي بعض التعليقات التي وردت الى صفحاتنا عن مآثر الراحل و شخصيته و سيرته و توثيقها:

**** بنيامين حداد:**
سيرة رائعة وتوثيق دقيق يمكن ان ينشر في كتيب بعد ان يزود بصور الشخوص و الاماكن التي ورد ذكرهم فيه حيثما تيسر لتكتمل الفائدة.
**** جميل حيدو:**
حقا انه رجل من رجال القوش الذي لايمكن نسيانه.. مشكورين على جهودكم لإعداد هذه السيرة العطرة التي يخلدها تاريخ القوش.. وليعلم ابناؤها انها انجبت رجالا اشتهروا كل في مجال عمله واختصاصه.. وما على الاجيال الحالية والمستقبلية الا الاقتداء بهم لإكمال مسيرة الحياة.
**** جلال حنونه:**
توثيق جميل لسيرة رجل خدم مهنته بنبل واخلاص في شتى الاماكن، وكانت له بصمة مميزة في بلدتنا القوش، حيث قدم خدماته بمهنية عالية.. محطات كثيرة في حياة الرجل قدمت بأسلوب جميل، مر من خلالها على اسماء وشخصيات عرفناها بين صديق وقريب.. الرحمة على روح الراحل شابا دكتور، والله يحفظ اولاده واحفاده كانوا نعم الجيران، نكن لهم كل المحبة والاحترام.
**** عماد رمو:**
شخصية متوازنة ومعروفة في القوش والمنطقة، تميز بتعاونه مع الجميع لنشر الوعي الصحي المطلوب.. كنا صغارا جدا في الستينيات وعندما نمرض يأتي الى البيت للكشف علينا واعطائنا الدواء اللازم... كون عائلة متميزة جدا.
سيرة ذاتية مشوقة مملوءة بالتفاصيل والاحداث فهي لا ترسم فقط شخصية المرحوم دكتور شابا ولكن ايضا ملامح تلك السنين. تقرير رائع وعمل متقن وبأسلوب شيق سرد احداثا مختلفة مرت علينا جميعا من دون ان نوثقها.. وها انت اليوم توثق فصلا كاملا لسيرة شخصية القوشية ومعه الكثير من اسماء الشخصيات.. وقد كان المقال ولأيام مركز اهتمام الكثير من الابناء الذين عاصر اباؤهم المرحوم دكتور شابا وصادقوه.. مثل المرحوم سليمان صادق اودو.. فتذكروا سنين الموصل عندما كانت تسكنها الكثير من العوائل الالقوشية.. و لو قام ابناء كل شخصية القوشية اثرت في المجتمع المحلي بتوثيق حياة و سيرة والده مثلكم، لكان لنا كتاب كبير ننهل منه المعلومات عن حياتهم و حياة المجتمع..السيرة التي كتبتها عن حياة والدكم قد لامست شغاف قلب كل من عاصره .
**** اروين روميل قيا:**
موضوع رائع وشخصية ملهمة تستحق التقدير والتعظيم وسيرة حياة مميزة عاينت الكثير من التجارب والمواقف التي من خلال الحكمة وحسن التفكير العميق تم تجاوزها. موضوع شيق جدا رابي عزيزا.. والها محاسيل مثلا طاوا وبريخا.
**** منهل سورو:**
محياه في ذاكرتنا.. فكم احببنا ابا رياض، كان الصديق الصدوق الاخ والجار لوالدي منصور سورو.. التقيا في مدرسة مار ميخا في مطلع ثلاثينيات القرن الماضي.. ثم التقيا ثانية في القوش بعد ان أصبح شابا دكتورا بجدارة ومنصور مدير اول ثانوية.. جمعتهما الوظيفة وحب العمل والحرص على بناء القوش بكل تفان واخلاص بعيدا عن السياسة وكل حسب تخصصه.. كانت داره مفتوحة للجميع.. يعالج فيها المرضى.. بعد انتقالهما لبغداد كان حديثهما دوما القوش ثم القوش.. فقد احباها من الوجدان..
**** ثائر حيدو:**
عرفناه انسانا كفوء بمهنته وبيته المفتوح لمساعدة المرضى ليلا نهارا بحكم الجيرة والصداقة.. كان انسانا هادئا ربى عائلة طيبة بنت علاقات جميلة وصداقة مع الجيران لا تنسى ابدا. عادت بنا ذاكرتنا الجميلة الى الوراء بما سطره قلمك الجميل..

**** نجيبة اسمرو:**
سرد كافي ووافي وفعلا يستحق ان يخلده التاريخ.. من رجالات القوش المضحين..
**** أكرم يلدكو:**
كانت له شخصية متميزة بالثقة بالنفس وتقديم العون.. قدم الكثير بأكثر من امكانياته في مجال الصحة حين انفرد بهذا العمل..
**** جميل بهنان:**
أحلى شيء اذكره النقاش الذي دار بين جدي بهنان قلو ودكتور شابا الله يرحمهم.. كان عمري سبع سنوات.. ذهبنا انا وجدي لانه كان يتالم من وجع في بطنه وبعد الفحص.. دكتور شابا اعطاه حبتين بيضاء اللون. قال جدي كل وجع في جسمي اتي اليك وتعطيني حبتين بيضاء.. اريد يوم من الايام تعطيني حبايات حمراء خضراء صفراء يعني ما عندك بس هذول الحبايات؟ وقام الدكتور في ضحكة كبيرة.. وانا ضحكت.. كان انسانا ذكيا جدا دكتور شابا.. وكانوا يأتون اليه من جميع القرى المجاورة وكان يشفيهم.. وهو كان مضمد بس كان يشفي الناس ويعطيهم امل.. الله يرحمه.
**** جلال جما:**
العمر يفنى والعمل الصالح يبقى للأبد..
هذا الذي يليق برجل أفنى عمره في مهنة انسانية بكل امانة واخلاص واجتهد فيها ايما اجتهاد فنال لقب دكتور عن جدارة.
**** ذكرى بوداغ:**
شكرا عزيزي رياض على هذه المعلومات الشيقة.. لقد ارجعتنا عشرات السنين الى الوراء وذكريات لا تنسى.. وسيرة انسان طيب يستحق التقدير والذكر.. قدم يد المساعدة لكل ابناء القوش الحبيبة..
**** ميخا ايشو:**
عندما كنت أزورهم في البيت ويرحب المرحوم بي، كنت أجهل انه قد عمل في كل هذه الاماكن التي ذكرها الاخ رياض.. لقد ترك بالفعل اثرا ايجابيا عند جميع اهالي القوش، وكذلك المناطق الاخرى.
****سالم مروكي:**
كان المرحوم العم شابا دكتور صديق والدي.. اتسم هذا الرجل بمهنية عالية وخدم المرضى بتفان واخلاص لا مثيل لهما.. وترك بصمة مشعة في تاريخ صحة ابناء القوش. كنا صغارا نهابه لخوفنا من زرقه للإبر التي كانت تزعجنا كثيرا...!
**** مازن رزوقي:**
كان من الشخصيات الالقوشية المتميزة في العمل والتعاون مع الاخرين.. كما كون اسرة متميزة.
**** رزقي قس يونان:**
كان المرحوم دكتور شابا كله شخصية بارزة ويؤدي واجبه بدقة..
**** حميد ككا:**
الاها محاسيلوخ ما قدرا جهياوخ تا القوش بيوماثا عسقي.. دوكثوخ هويت ملكوثا دشميا.
**** حازم كتو:**
الله يرحمه.. كانت تتوفر فيه كل صفات الانسانية والطيبة ومساعدة الاخرين.
**** سالم يوحنا:**
كان رجلا بارا وانسانا نبيلا ساعد الكثير من الناس في القوش من خلال عمله المهني والصحي.. وفعلا كانت خبرته في هذا المجال خبرة دكتور.. بجانب كونه رب اسرة كريمة ومحترمة.
**** زهير كله:**
احبه الاغراب قبل الاحباب.. وكان امينا على مهنته الانسانية بحزم وثبات ما جعله قريبا من الجميع.. استوقفه الزمن ليعلن رحيله تاركا بصماته عل احداث ومواقف مشرفة لإنسان أحب مهنته وأحب ناسه.. وتيقن ان في محبة الله وخلقه يكون الخلود في ضمائر الاجيال القادمة..
**** صبري كله:**
حياة عمنا كانت نموذج المكافح الواعي والرجل المتزن الذي خدم مع الكثير من اطياف الشعب العراقي اينما حل، وفي اي قرية او مدينة ينشر الوعي الصحي والثقافي بين الناس. حقا كان المسعف واليد البيضاء في مهنته التي أحبها واتقنها بأبسط الادوات المتوفرة آنذاك.. ولا ننسى انه كون عائلة مثالية وعلاقات اجتماعية كان لها الاثر الطيب في شخصيته الرزينة.

***** للاطلاع على مزيد من التفاصيل والمشاركات يرجى الدخول الى صفحاتنا وصفحة الاخ منذر حبيب كلّه على الفيس بوك.**

الشوق للتراث يعيش بداخله.

مقدمة:

بمبادرة طيبة من الأخ الموقر منذر حبيب كَلّه، رئيس جمعية ألقوش الثقافية، طُلب منا نحن أولاد شابا توما كَلّه (1922 – 2005)، المشاركة في إعداد وقفة استذكارية لمناسبة مرور خمسة عشر عاماً على رحيل هذه الشخصية التي تركت أطيب الأثر لدى سكان بلدته، حيث وُلد ونشأ وتعلم وأقام، وعمل بتفانٍ وإخلاص كي يكون عند حسن ظن الالاف من أبنائها الذين قصدوه طلباً للعلاج والشفاء لفترة امتدت الى نحو 15 عاماً، عاشها معهم بأيامها ولياليها، بحلوها ومرها، بآمالها وآلامها. فظلوا يتذكرون مآثره حتى بعد انتقاله للعيش في بغداد بقية حياته، مشيدين بمواقفه الإنسانية التي عبرت عن مدى حبه لبلدته وصدق انتمائه اليها والى اهلها.

لقد ظل أبناء ألقوش يكنّون كل مشاعر الود والاحترام لشخص عاش لخدمتهم طيلة المدة بين 1958 حتى 1972، فصار رمزاً للعافية و الصحة عندهم، ثم أطلقوا عليه اسم "شابا دكتور"... وهو لقب ناله عن جدارة و استحقاق، وعبّر عن ثقة كبيرة منحوه إياها، بعد ما وجدوا فيه من صفات عظيمة بمعانيها، و بعد ما لمسوه من مهنيّة عالية اكتسبها طيلة سنوات خدمته، فصار يملك خبرة طبيب مجرّب رغم أنه كان خرّيج دورة تضميد اجتازها بامتياز في أربعينيات القرن الماضي، ولقد كان الانطباع الطيب نفسه الذي تركه لدى الناس الذين عاش معهم في كل قرية أو مدينة عمل فيها، قبل استقراره في ألقوش التي طال اشتياقه إليها.

ونحن إذ نشكر كل من يشاركنا هذه الوقفة، و كل من يتذكر شخصية المحتفى به، بما في ذلك نية مجلة "شراغا" التي تصدرها جمعية القوش الثقافية بنشر سيرة الراحل، نقول أن ذلك إنما ينمّ عن وفاءٍ متبادل بين أبناء ألقوش وأخٍ لهم، أنجبته البلدة التي أحبها و أحبته، بل صار جزءً من تاريخها من خلال موقعه الوظيفي و الاجتماعي، و من خلال مواقف وأحداث يتناولها هذا الموضوع الذي تقوم بعض معلوماته على مشاهداتنا ومعايشتنا الحياتية للوالد كعائلة - و بالقدر الذي تسعفنا به الذاكرة - و بقدر المدة التي عاشها كل منا في ألقوش، فإني رياض (كاتب الموضوع) مثلا، قد تفاجأت بالكثير من الوقائع التي نقلها الي أشقائي، لأنني لم أعش فيها سوى سنوات خمس وغادرت بعدها الى بغداد. أما البعض الآخر من تلك المعلومات، فاستقيناه من أحاديث لأشخاص عاصروه في مراحل زمنية مختلفة... آملين أننا وُفّقنا في إعطاء صورة وافية عن كل الجوانب المتعلقة بهذه الشخصية، والتي جعلت منه الرجل الذي نتحدث عنه:

"شابا دكتور"... شابا الأنسان... شابا الألقوشي... شابا الأخ... شابا العراقي... شابا الأب والجد..

ألقوش يمّا د مثواثا.

وكأننا في كل ذلك نقرأ كتاباً... صحيح أنه من الماضي... لكنه يحمل الكثير من المعاني في يومنا هذا.
والآن فلنقرأ معاً صفحات من حياة رجل من ذلك الزمان

سقط من على صهوة جواد جامح ذات ليلة شتائية عاصفة، وهو عائد من معاينة مريض بحالة حرجة، يسكن في قرية نائية في قضاء سنجار!... نهض بصعوبة مُتّكِئاً على ذراع مُرافِقه (قريب المريض)، ثم واصل طريق العودة! وفي صباح اليوم التالي ورغم آلامه ورضوضه أصرّ على مغادرة المنزل ليكون في استقبال مرضاه ومراجعيه في المبنى المقابل، والذي تعلو سطحه سارية تحمل علماً ابيض!

لم يكن ذلك المبنى سوى المستوصف الملكي في قرية باره والمدشن حديثا (مطلع خمسينيات القرن الماضي)، وقد اختير هو ليكون أول من يتولى مسؤولية ادارة (الفتح الجديد) هذا. وإن كانت البداية في بيت طيني وسط تلك القرية الأيزيدية الكبيرة، حتى تم الانتقال الى المجمع المشيد خارجها والذي ضم بجانب المستوصف بيت الموظف الصحي والمدرسة الجديدة بإدارتها ومعلميها... يجاورها جميعاً مركز الشرطة... الاقدم هناك، وهو المكان الوحيد للاتصال في الحالات الطارئة من خلال استخدام جهاز اللاسلكي الموجود فيه!

وواقعاً، فإن افتتاح مستوصف أو مدرسة، كان يعد حدثا مهماً وكبيراً زمنذاك في ارجاء لا تعرف ما هو الراديو ولا الكهرباء ولا الهاتف ولا ماء الحنفية... ولا يرى سكانها سيارة إلاّ بضع مرات في السنة. فيخرج الجميع للتفرج على (الطرمبيل) الزاحف ببطء وسط صيحات الصغار الراكضين، غير ابهين بما يتلقونه من دخان اسود وغبار.

لقد جاء الرجل الى باره منقولا من ناحية طقطق في قضاء كويسنجق بـ (لواء اربيل)، حيث عمل في الاربعينيات في ظروف مماثلة (فتح جديد)، وقبلها كان في بارزان (تعيينه الأول) وقبلها في بغداد والموصل بعض الوقت حتى ان بلغ محطته الأخيرة... ألقوش، والتي ظلت عينه عليها اينما حل وانتقل. فعمل فيها منذ 1958 ولم يغادرها حتى 1972 بعد ان تقاعد، ليستقر بعد ذلك في بغداد ويواصل ممارسة مهنته لعقد اخر من الزمن مع القطاع الخاص.

بيتنا في باره ..ذكريات الطفولة عن الحياة في المناطق العراقية النائية

بعد مار ميخا والكَيلاني..

وفي مسيرته الطويلة هذه عايش احداثاً كثيرةً مشهودةً، وتنقل بين قرى وقصبات وبلدات، وتعرف على أُناس ومِلَل وطوائف وجماعات عدة... مسيحيين ومسلمين... كرد وعرب.. كلدان واشوريين وأُرمن.. صابئة وأيزيديين.. تركمان وشبك وغيرهم... إندمج معهم وتكلم لغاتهم وتكيف مع عاداتهم... أحبهم وأحبوه... وكان كلما غادر مكاناً يودعه الاهالي بالدموع... وبأمل اللقاء ثانية مهما طال الزمن...!

ورحلة الزمن والمستقبل بالنسبة لجريح الحرب شابا توما شابا كَله، وتكتب أحياناً كَولّا، المولود في ألقوش عام 1922 (من أبٍ يعمل في الفلاحة وأمٍ من عائله قوجا، هي راحيل اسطيفو حنا)، بدأت في لحظة مفصلية لا تنسى، عندما قرر ابن التاسعة عشرة اختيار مهنة تطبيب الاخرين ومداواة جراحهم ساعة وجد نفسه في غرفة العمليات ملقى على سرير طبي وهو يتعالج على يد من سيصبح زميلاً لهم في المستقبل القريب! غير متوقع ان جسمه سيظل والى الابد يحمل ندبتين ظاهرتين، واحده على جبهته والاخرى على ساقه! فكان يأتي الى ذكرهما كلما روى باعتزاز قصة قراره ذاك وحكاية اصابته... مشيرا الى سن الذبان (الموقع الذي شهد المعركة المعروفة بين القوات البريطانية والعراقية قرب مدينة الحبانية) وعلاقتها بالحادثة.

كان ذلك بعد تخرجه من مدرسة مار ميخا الابتدائية (الوحيدة في ألقوش وقتذاك)، ثم دعوته بعد مدة الى الخدمة العسكرية الالزامية في العام 1941 اثناء الحرب العالمية الثانية وقيام حركه رشيد عالي الكيلاني، التي اصيب خلالها بشظيتين جراء قصف معسكرهم بالقنابل. فنقل على أثرها الى المستشفى، وهناك وجد العسكري الشاب نفسه مأخوذا بالمهام التي ينهض بها القائمون على اسعافه واخراج الشظايا من جسمه، وهم مجموعة من ملائكة الرحمة والممرضين والاطباء الذين قرر على الفور ان يكون واحدا منهم.

Mar Mika AL-Nuhadri Elementry School Back in early Thirties.Iraq -Nineveh -Alqush. The Great Assyrian Town.

من اليمين الى اليسار   اعلى الصورة الفراش هرمز كوريال رئيس

الصف الاول: اوكر شاكر ابونا – يوسف قيا ابونا – صادق يوسف كجو – داود جبو حيدو – يونس حنا ابشارا – غير معروف – بيبو حنو – رحيم يوسف صادق كولا
الصف الثاني: غير معروف – حنا شيشا كولا – حبيب حنا جمعة – غير معروف – كريم يوسف ابونا – الدراوس صليو صنا – ججو يونس كوزا – شمعون توما حنينا – غير معروف – جرجيس اسحق زرا – ايشو(من مانكيش) موسى لوح سورو – غير معروف – غير معروف – غير معروف
الصف الثالث: يونس جوكا غزالا – شابا توما كولا – غير معروف – غير معروف – غير معروف – ابن اسكندر ابونا – غير معروف – لويس كوريال بلدكو – اسحاق بيبو اسطيفان – غير معروف – زوج فكتوريا بطرس كولا (يلقب بـ متي اخالي دختوي) حنا بتي صفار – سليمان صادق اودو – يوسف متي يقوندا – حنا ايشوع برخو – حنا جولاغ – غير معروف
الصف الرابع الجالسين: المعلم نجيب غزالا من الموصل – الاطفال اولاد بشير غزالا (المواطن الصحي في القوش) – معلم يوسف من برطلا – القس ابلحد عوديش – مدير مدرسو القوش بطرس نعامه – القس فرنسيس حداد – المعلم فرنسيس كرمو ولد المطران كوركيس كرمو – معلم خليل لعلي من الموصل – الطالب الواقف غير معروف
الصف الخامس الجالسين: من رقم الى رقم غير معروفين قس هرمز صنا – يوسف ياقو شامايا – غير معروف – حنا حسقيل زلفا – نعيم توما قينايا – اعتقد حنا متيكا حداد – رحيم سليمان كتو – غير معروف
الصف السادس الجالسين: لا نتذكر احد منهم

<u>مدرسة مار ميخا النوهدري الأبتدائية في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين. العراق-نينوى- ألقوش. البلدة الآشورية العظيمة.</u>

وما ان تعافى من اصاباته وغادر المستشفى حتى سارع الى ترجمة قراره عمليا، فتقدم للانضمام الى دورة صحية مهنية خاصة بالتضميد، نال على أثرها شهادة التخرج بامتياز، ليمضي بعدها وبخطىً ثابتةً في مسيرة طويلة بدأها من الصفر، مقدما نموذجاً حياً لطموح الشباب وعصاميتهم. فلم يدّخر وسيلةً إلاّ واعتمدها كي يطور نفسه، مُكرساً كل محطات العمر لزيادة معلوماته، وتعلم الكثير ممن عمل معهم من اطباء واختصاصيين وجراحين. وسهر الليالي في المستشفيات ودور التمريض برفقة زملاء المهنة من ممرضات ومضمدين وصيادلة خفراء واطباء مقيمين ليكتسب بمرور الوقت خبرات متراكمه غنية أهّلته لتحمل مسؤولية صارت رسالته في الوجود.

<u>العسكري الشاب</u>

<u>و الخطوة الأولى في الخدمة العسكرية أثناء تلقيه العلاج.</u>

لقب استحقه صاحب "اليد المباركة"

وعبر رحلة السنين هذه فحص وعالج المئات بل الالاف من البشر صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً. شخّص وطَبّبَ انواع الالتهابات التي يتعرض لها جسم الانسان في جهازه الهضمي أو التنفسي أو البولي. أسعف اصابات الرضوض والحروق والخراجات ولسعات القوارض والافاعي، داوى الجروح وخاط الكبير منها، وزرق مرضاه بأعداد لا تحصى من الابر، وكان في كل ذلك يسجل الحالات واسماء اصحابها في سجل كبير يوميا يعود اليه لمتابعة أوضاعهم حتى النهاية.

كنت تراه مرتدياً صدريته البيضاء والسماعة الطبية على اذنيه، وفي متناول يديه اجهزة ومستلزمات قياس الضغط والحرارة وفحص الانف والاذن والحنجرة والاسنان والعيون، وبالقرب منه مكملات التضميد والعلاج. وما ان ينتهي من الكشف على المريض ويحدد الحالة باهتمام وتأن و"طولة بال" عرف بها، حتى يأتي دور الخطوة التالية: توصيف الدواء الذي كان يقدمه مع التمنيات بالتحسن السريع، فياتي تشخيصه دقيقا و علاجه مضمون النتائج في معظم الحالات و بشهادة الجميع. وهذا ما أثبته لهم الزمن... فمنحوه بذلك وباستحقاق لقب "دكتور" أو "دختور" في كل مكان عمل فيه... وهل لك ان تتصور الامر غير ذلك وهم لا يجدون الشفاء إلاّ على يد هذا الشخص... وهو الوحيد الذي يتولى رعايتهم الصحية في قرية أو ناحية ما، بل وفي مجموعة القرى والارياف المحيطة بمكان عمله...؟ ولذلك كان طبيعيا ان تسمع الكثير من مرضاه ومرافقيهم يرددون: "ايدك مباركه يا دكتور... ايدك خفيفة... عاشت ايدك... طال عمرك...".

وعندما تتأمل الامر ملياً، ستجد انه يمارس دور الطبيب والمضمد والمسعف والمعالج والصيدلي في آنٍ معاً. وانه كنتيجة لموقع كهذا ومعايشة طويلة كهذه، وللمكانة المرموقة التي يبلغها والاحترام الذي يحظى به، ولازدياد الحاجة الى خدماته، وخصوصا بعد ساعات الدوام، تجد أن بيته، شاء ام ابى، قد تحول الى "عيادة مكملة" لعمل المستوصف. فكنت ترى المرضى يتدفقون عليه في ساعات مختلفة من النهار والليل، ويأخذ انتظارهم شكل الطابور احيانا. وفي أحد الايام في ألقوش كان طابور المنتظرين اطول من المعتاد وبلغ حد الشارع، ما جعل صديقه المرحوم حبيب صادق شدّا يعلق مازحا: "يجب ان تعمل اليوم بالبطائق يا دكتور".

وهو كان يقوم بمهامه تلك لقاء مقابل مادي معقول يشمل اسعار الأدوية والعقاقير التي كان يبتاعها من الصيدليات. وعندما يشعر ان بعض المتعففين لا يملكون ما يكفي، أو يعانون من عوز مادي، يغض الطرف عن مقاضاتهم، برحابة صدر تحلّى بها... لقد كان صاحب يد بيضاء ايضا..

وكان إذا ما استعصيت عليه حالة ما- بسبب نقص في دواء أو حاجة الى تشخيص بالأشعة أو اجراء فحوص لا تتوفر لديه، أو مراجعة مستشفى أو اخصائي في الموصل أو بغداد- نصح مريضه بذلك على الفور، مُصارحاً إياهُ بأن ما لديه من امكانات لا يفي بالغرض، وان الامر يقتضي اتخاذ مزيد من الخطوات لا تتوفر لديه ولا في المكان الذي هو فيه. وكانت صراحته وانسانيته في التعامل مع الجميع موضع اعجاب كل مراجعيه واهلهم وذويهم.

عالج حالات كثيرة بالأمكانات المتاحة و الصورة أمام مستوصف باره.

من يشرب ماء كهذا يا "بيك"؟

وقد اكتشفت ذات نهار، وبالصدفة، انه وبحكم موقعه كمسؤول صحي، فهو معني بمراقبه مدى الالتزام بالنظافة والشروط البيئية والصحية وصلاحية ما يعرض من اغذية للاستهلاك البشري، ولأن الكثيرين من الباعة كانوا كسبة يعتاشون وعائلاتهم على موارد محلاتهم، فأنه كان في كل الأوقات يلجأ الى النصح والتحذير بالنسبة لغير الملتزمين، دون ان يلجأ الى اتخاذ اجراءات رادعة بحقهم، مشددا على انه سيكون أكثر جدية وصرامة في المستقبل... فكانوا يتجاوبون مع ملاحظاته ممتنين.... و اذكر مرة و انا بصحبته في سوق ألقوش و هو في طريقه الى المستوصف، انه توقف عند صاحب احد الدكاكين واشار الى سلة بامية مائلة الى الذبول، ثم قال له: "يا فلان... الا يكفيها هذه البامية؟.. خذها للبيت وجففها..!"

"صار دكتور...". وحمل فلان سلة البامية وركنها في زاوية بعيدة!

ولحرصه الشديد على توفير الدواء في اماكن عمله بالقرى والارياف والمناطق النائية، وبالنظر الى الحاجة الماسة اليه هناك، ولصعوبة الذهاب بشكل مستمر الى المدن لجلبه، كان يبذل جهدا استثنائيا كي يؤمن ما هو متاح من الدواء في الوقت المناسب، وخصوصا في موسم الشتاء. فيتدبر ارسال "الفَرّاش" أو شخص اخر موثوق به، سائق أو مسافر، وأحيانا يضطر الى الذهاب بنفسه. وبجانب ذلك كان لا يملّ ولا يتراخى في استمرار مخاطبة المسؤولين عن هذا الموضوع المهم.

إلا أنه في مواقف أخرى كان يذهب إلى أبعد من ذلك، عندما يناقش المسؤولين كلما حانت له فرصة حول الكثير من مكامن الخلل المتعلقة بسلامة المواطنين وعافيتهم، والبيئة التي يعيشون فيها ضمن المنطقة التي تقع في إطار مسؤوليته. ذلك أن الصحة هي أغلى شيء في الوجود حسب اعتقاده ولا يجوز السكوت عن أي سلوك سلبي.

ويروي لنا المرحوم حاجي رسول محمد (الذي ظل صديق الوالد منذ الاربعينيات وبقيت علاقتهما العائلية مستمرة لأكثر من خمسين عاما)، انه عندما كان كاتب ناحية في بداية حياته العملية، وجمعتهما الوظيفة في أول تعيين لهما بأرياف أربيل- الأول في السراي والثاني في المستوصف- يروي أن مسؤولاً كبيراً زار المنطقة ذات مرةٍ لتفقد أوضاعها، وقد شكا له مدير المستوصف - أي شابا - من مخاطر استمرار تناول السكان للمياه الملوثة، وأن ما يتّبعونه من وسائل لتنقيتها، لا يجدي نفعاً. وعندما حاول المسؤول التبرير، تلقف شابا قنينة ماء مركونة على المنضدة أمامه، وراح يُقلّبها ويرجُّ ما في داخلها عدة مرات، حتى بانت أنواع من الشوائب والعوالق والأطيان، وهي تسبح داخل القنينة، وقال له على الفور: "انظر بعينك يا بيك، هل يعقل لإنسان أن يشرب ماءً كهذا؟".

ويُسجَّل له أيضا انه كان شخصا مقداماً وجريئاً ليس فقط في التصرف خلال الحالات الطارئة واتخاذ القرار المناسب بشأنها، بل في عدم تردده في الذهاب إلى أي مكان وفي أي وقت لمعاينة مريض أو إسعاف جريح يصعب نقلهما. فيقطع المسافات الطويلة بعيدا عن بيته، غير آبهٍ بالمخاطر المحتملة، مثل وجود مجرمين أو قطاع طرق أو حيوانات مفترسة خصوصا أثناء الليل وفي أوقات الطقس السيئ. فضلاً عما يمكن أن تشكله الطرق الوعرة من مخاطر أخرى وتحديدا في المرتفعات والجبال.

حتى لو كان الثمن كبوة حصان!

وقد حصل ذلك معه في لوائي أربيل والموصل عدة مرات. إذ كان يضطر، مثلاً، إلى عبور نهر الزاب الاسفل أحيانا قبل أن يواصل الطريق وسط أدغال أو وديان لبلوغ هدفه حاملا حقيبته الطبية. وفي مَطلع الخمسينيات وعندما كان يعمل في مستوصف باره بمنطقة سنجار كان يقصد أماكن نائية لا يمكن وصولها إلّا بواسطة الخيول! ولطالما كانوا يطرقون باب بيته ليلاً، مثل أهالي قرية باره العليا الواقعة في منطقة مرتفعة بعض الشيء، فيلبي طلبهم دون أن يحول شي بينه وبين أداء الواجب حتى لئن كان الثمن تعرضه إلى السقوط من على ظهر حصانٍ جامحٍ... أو كبوة منه في الاقل!

وفي الحقيقة فإن المواقف الإنسانية للرجل وكفاءته وإخلاصه، كانت تَرِدُ على ألسنة الكثيرين عندما يعرفون صدفة أننا أبناء "شابا توما كُلّه.... الدكتور". والشيء نفسه عندما يلتقون بأقارب له، فيذهب أغلبهم إلى استذكار مآثره والإشادة بها، ومِن بينهم من انقطعت علاقته بهم منذ وقت بعيد، بسبب النقل أو التقاعد أو الاعتزال، أو ممن عَمِلَ معهم لفترات قصيرة، مثل بعض مسؤولي الوحدات الإدارية... ولكن مجرد ذكر اسمه كان يُحفزُّ ذاكرتهم ويثير تساؤلاتهم.

ففي زمن عبد الرحمن عارف، وعندما كنت أعمل محرراً في جريدة المواطن البغدادية اليومية، وقد عُدتُ لتوي من تغطية أصداء معركة الكرامة، التي انتصر فيها الجيش الأردني والفلسطينيون على الإسرائيليين، وزرت خلالها بعض المخيمات، استوقفني رئيس التحرير عبد الله الملاح متسائلاً: " قل لي بربك هل أنت ابن شابا الموظف الصحي أم أنه شخص آخر؟". قلت له: "هو بعينه أستاذ ". هز برأسه وهو يثبت نظارته فوق عينيه جيدا ثم قال: "أي... كان سبع وشاطر، عملنا سوا قبل حوالي عشرين سنة! ". وقد علمنا بعد حين أنه كان مسؤولا اداريا في نفس الفترة التي كان الوالد يعمل فيها هناك في أرياف أربيل (نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات). وصار كلما يراني يسأل عن اخباره.

جلسات على السطح مع زوار الليل...

إلّا انه وعندما نُقِلَ الوالد إلى ألقوش عام 1958 عاش أحداثا من نوع آخر تبقى حيةً في ذاكرته وذاكرة الجيل الذي عاصرها. أما نحن فنستعيد البعض القليل منها، وبقدر ما تسعفنا به ذاكرة الطفولة أو الشباب. أو بقدر ما أتيح لنا من معلومات.. أو ما شاهدناه ولمسناه، كلٌّ حسب الفترة التي أمضاها في ألقوش... إضطرَّ ذاتَ ليلة هو وزميله المرحوم اسطيفان أبونا إلى فتح أبواب المستوصف لإسعاف مجموعة من أبناء البلدة، كانوا ينزفون الكثير من الدم جراء جروح وإصابات خطيرة، تعرضوا لها وهم داخل السيارة التي تقلهم إلى ألقوش. حيث تم الاعتداء عليهم بالأسلحة الرشاشة في أحد منعطفات جبل قند "لندي"، ويومها اضطر إلى البقاء حتى ساعة متأخرة من الليل ليخيط جراحا كبيرة لبعض المصابين، ويداوي غيرهم. ونتذكر ان أحد الناجين من الحادث كان خالنا المرحوم ممو بوداغ.

وقعت الحادثة خلال النصف الأول من الستينيات. وهي فترة كانت المنطقة تشهد فيها أوضاعا صعبة واضطرابات مؤلمة. نتيجة لموقع ألقوش الجغرافي، بين مناطق الكرد والحركات شمالا، وبين دوائر السلطة وقواتها جنوبا، واعتبرت ألقوش بذلك واحدة من النقاط الساخنة وقتذاك.

وقد بدأت تلك الأحداث بالتصاعد بشكل أوضح بعد احداث 8 شباط 1963. حيث شهدت ألقوش في أعقاب ذلك التاريخ سلسلة اعتقالات بحق أبنائها، بدأت بطلبة ثانوية ألقوش للبنين (ثانوية شيشا كلّه رحمه الله) وبعض المعلمين والموظفين الذين تم القبض عليهم أثناء الدوام من قبل قوة عسكرية محمولة جاءت من الموصل. ولم ينج من تلك الحملة إلّا الذين تمكنوا من مغادرة ألقوش واللجوء الى جبالها قبل وصول تلك القوة.

وامتدادا لتلك الأحداث وتزامنا مع تلك التطورات، استمرت السلطة في تشكيل فصائل مسلحة موالية لها أسهمت في زرع الفوضى والرعب بين أوساط السكان الأبرياء بحجة محاربة "العصاة" والبحث عنهم. وفي ظل تلك الأوضاع وبحكم مهنته الحساسة، عاش الوالد أوقاتاً صعبةً وظروفاً دقيقةً ومعقدة وحرجة. إذ كان عليه أن يعمل وفق ما تمليه عليه حكمته وخبرته في الحياة من جهة، وبما يرضي ضميره الإنساني والوطني وانتماءه الألقوشي من جهة أخرى. فسعى جاهدا إلى تحقيق شيء من التوازن في علاقاته ومهامه، وكذلك في اتخاذ العديد من المواقف الجريئة رغم ما كان يشكّله ذلك من مخاطر حقيقية عليه وعلى أفراد أسرته.
ويتذكر من بقي منا (من أفراد العائلة) مقيما في ألقوش أواخر الستينيات، أن معارفه من" الأنصار" وفي مقدمتهم المرحوم عابد جمعة، كانوا يبعثون مندوباً عنهم، فيأتي إلى الوالد تحت جنح الظلام في غالب الأحيان، وبعد اجتيازه الباب الرئيسي الخارجي (باب الحديقة) بحذر شديد، يتجه إلى باب الدار الجانبي الحديدي فوق "الرهرة" أي السرداب، والمطل على بيت المرحوم يونس بولا (وسكنه المرحوم رحيم جعفو لاحقا). وما أن يطرق بخفه، حتى يفتح له ليتسلق الدرج المؤدي إلى السطح السفلي للدار، بعد أن تكون كل الأضواء قد أُطفئت وخصوصا "مصباح اللوكس". فيمضيان شطرا من الليل في الحديث بصوت خافت والتسامرعلى الطريقة الألقوشية المعهودة ويبقيان أحيانا حتى ساعة متأخرة، وذلك أمر ليس بالمستغرب لأن الوالد تربطه بأكثرهم علاقات صداقة قديمة وليس علاقة مصلحة... علاقة حاجة إلى دواء كان يقدمه لهم ولأُسرهم بطيبة خاطر.. وكان هذا الأمر يسري أحيانا على بعض من جماعة البارتي أيضا ومن خلال صديقه القديم المرحوم حبيب صادق شدّا.

شهيد ألقوشي على "السدية"

وعلى الأسس ذاتها كانت للوالد علاقة صداقة قديمة مع المناضل المرحوم توما توماس. وهو يروي حادثة مروعة عاشها ذات نهار من العام 1969، عندما قام أزلام السلطة بهجوم على ألقوش مستهدفين" الأنصار" برمي كثيف. ويقول إنهم جاءوا إليّ ظهرا وطلبوا مني مرافقتهم إلى المستوصف للتعرف على قتيل احتجزوا جثمانه هناك: " تعال معنا يا دكتور كي تفحص هذه الجثة. فإننا قد قتلنا توما توماس على ما يبدو".
يقول إن الدم تجمد في عروقي لحظتها. ارتعدت فرائصي، وازداد قلبي خفقاناً إزاء ما سمعت. وبصعوبة شديدة حاولت أن أتمالك نفسي وأسيطر على أعصابي، وبصعوبة أشد تمكنت من السيطرة على مشاعري. ولكن ما أن وصلت المستوصف وتم رفع الغطاء من على رأس الرجل الممدد على "السدية"، حتى التفَتُّ إليهم وقلتُ: هذا ليس توما توماس! ويواصل الوالد، ولكنني رغم ذلك بقيت في حالة من الحزن والصدمة لأنني اكتشفت أن الرجل الملقى على "السدية" هو ألقوشي أيضا. ولم يكن إلّا الشهيد "جندو" صبري دكّالي. والذي كان ببشرة بيضاء جعلت العسكر يعتقدون انه ضالتهم!
وبما أننا نتحدث عن ألقوش وعلاقة "شابا دكتور" بها، فنقول إن الحديث عنها يطول وستكون لنا عودة إليه مع عودة الوالد إليها عام 1958 بعد رحلة طويلة مع المهنة التي حملته إلى قصبات وقرى، مهما كانت جميلة، إلّا أن بوصلةَ قلبه تظلُّ متجهة صوبها، فهي مسقط رأسه ومرتع صباه وذكرياته وملتقى أصدقائه ومعارفه، وأرض اهله وأجداده. وهي أيضا المكان الذي شهد بداية تكوين أسرته، عندما اقترن بزوجته جوري يلدا بوداغ في أيار 1945. وسكن أنذاك في البيت الذي يعود الان لأخيه المرحوم سعيد، وهو بيت والده توما، وترتيبه هو الاخير بين بيوت العائلة الثلاثة المتلاصقة التي كانت تعود لجدنا توما والواقعة في الزقاق المؤدي إلى "الدنكَ": المجرشة ذات القرص الحجري الضخم الذي يُحرَّك ويُدار بواسطة الدواب.

الزقاق الذي نشأت فيه الأسرة الكبيرة لجدّنا

البيوت الثلاثة التي شغلها جدنا توما كولا وأولاده ومن بعدهم الاحفاد

اختفى" الدنك "من هذا الموقع ويبدو من بعيد مبنى الثانوية القديم.

وهنا في هذا المكان من محلة تحتاني ايضا نشأت اخته الصغرى كَرجية اطال الله بعمرها، واخته حنه وشقيقاته (إستير وشكرية ووارينة) وأخوته (أوراها وحسقيال وسعيد ويونس) رحمة الله عليهم جميعا... وهنا في بيوت هذا الزقاق ولد وتربى اجيال من الاحفاد.
وطبعا بعد ذلك التاريخ (الزواج)، غادر ألقوش الى حيث ينتظره العمل والناس المتطلعين لتلقي العلاج والشفاء في المكان الذي اختارته الدولة له. مصطحباً زوجته التي ستشاركه بقية رحلته، حيث كان وقتها قد تعين في لواء أربيل كما ذكرنا "بارزان وطقطق". وفي هذه الأخيرة وُلِدَ كاتب هذه السطور "رياض":
"لا أتذكر الكثير عن تلك الناحية والمنطقة التي تقع فيها، فقد غادرتها في سن دون الرابعة، وما بقي عالقاً في ذهني من صور عنها يشبه الحلم: نهر يسبح فيه الصغار، وحصان كاد يغرق في مياهه، وعبّارة "دوبة" تقطعه عرضاً، وبيوت من الطين، وصاعقة أحدثت وميضاً قوياً مع دوي يشبه الانفجار، أوقعت عموداً أو شجرةً... وما عدا ذلك فلن أنسى شخصا أسمه "أمين" أو خياله، وهو عامل الخدمة في المستوصف "الفرّاش"، مرتدياً زيّه الكردي الشعبي والذي كان يرعاني ويلاعبني مثل أخ صغير له .... وأذكر أنه كان يبكي أياماً عديدة قبل مغادرتنا، حيث صدر الامر الاداري بنقل الوالد الى باره، بعد وقفة قصيرة في الموصل، وقد علمت من أبي أنني عندما غادرنا طقطق، لم أكن أتحدث سوى الكردية، وقد تعلمت السورث منهم لاحقاً ثم العربية بعد أن تم تسجيلي وأنا في ذلك العمر في الصف الأول الابتدائي بهدف سد العجز في عدد التلاميذ بمدرسة باره التي افتتحت للتو...".

آل قوجا وبتوزا وبوداغ في باره

عندما وصلنا باره كانت أسرتنا تتكون من خمسة أشخاص: أبي وأمي وأنا وشقيقتي المرحومة باسمة، التي كانت أمي قد سافرت الى الموصل لولادتها في المستشفى هناك، وعمتي الصغرى گرجية التي جاءت معنا من طقطق. وفور وصولنا قاد الوالد حركة نشطة استعدادا للانتقال من بيتنا الطيني والمستوصف المماثل إلى المجمع الجديد خارج القرية، حيث البيت الحديث والكبير في انتظارنا وبالقرب منه المستوصف المهيأ لاستقبال المراجعين. وفي هذا البيت استقبلنا بعد حين جدتي لأمي المرحومة گوزي نونا أبونا.

عمَّتنا كرجية الاولى من اليمين في أول عهدنا في باره.

أمّنا من اليمين وجدّتنا من اليسار تتوسطهما إحدى الجارات في باره.

وهكذا بدأ "الدختور" وبمرور الوقت يحصل على ثقة المزيد من الناس القادمين للعلاج. كما أن خدماته لم تعد تقتصر على أهالي القرية الأيزيدية فقط، بل كل سكان المنطقة المحيطة وبينهم عرب يعيش بعضهم في بيوت الشعر لتربية المواشي... وفي هذا المجمع احسسنا ان علاقات اجتماعية تنشا داخله بوجود عائلات بعض المعلمين ورجال الشرطة، وبدأت أمنا تتبادل الزيارات مع زوجة مأمور المركز عبود،

ام عبد الله، الآتين من الشورة، حيث صار الاخير صديقا ندعوه " عبالي"، كذلك زوجة مدير المدرسة الاستاذ خضر الاتي من بعشيقة، وشقيقة الاستاذ اسحق المعلم الاتي من قصبة أرموته.
الا ان أكثر من كان يستوقفنا في جلسات الوالد مع جيرانه كان الاستاذ خوشابا شمعون الذي يتحدث بحماسة دائمة عن بلدته وتفاح -كاني ماسي- الشهير: "أنه اطيب من تفاح لبنان... ليتكم تتذوقوه يوما... كل تفاحه بهذا الحجم..." يقول ذلك مادا اصابع يديه بشكل مقوس الى الداخل ...!
ولأن باره التابعة لناحية -كرسي- والتي صار اسمها ناحية -الشمال- تقع على طريق يربط عدة قرى مثل خاني صور وسنوني وجَدّالة وكهبل، ويمتد إلى سنجار- تل عفر والموصل، ولقربها من مناطق الحدود العراقية السورية، فقد أصبحت القرية نقطة يتوقف عندها بعض العابرين من هذا الطريق من موظفين ومسؤولين إداريين ومعلمين وغيرهم. اما محطة الاستراحة التي تستضيفهم، فلم تكن إلّا بيت "الدكتور" الذي يستقبل المتوقفين لتناول وجبة غداء أو عشاء أو للمبيت في بعض الأحيان، فيمضون ليلة أو أكثر في غرفة الضيوف التي وضعنا فيها طقما من الارائك وفرشناها ب "زولية محترمة" كي تكون لائقة بمقامهم، مع توفير فراش كامل للنوم...
ولم يكن الضيوف من فئات الموظفين وحدهم، والكثير منهم صاروا أصدقاء الوالد بتعاقب الأيام. بل كان يأتينا العديد من أصحاب المصالح والمهن والكسبة، يقطعون كل تلك المسافات سعيا وراء الرزق. وبينهم أقارب ومعارف.. فقد كان هناك مجموعة رجال أقوياء من عائلة قوجا - أخوال الوالد رحمهم الله، تحضرنا أسماء بعضهم: شمعون ومنصور وحنا. وكانوا يأتون صيفا على الأغلب لعمل موسمي، هو صناعة (اللباد)، والتي كانت تعتمد كثيرا على قوة استعمال الأرجل والاقدام خصوصا، من أجل دفع القطعة ودحرجتها وصقلها. يرافق ذلك ترديد جماعي لهمهمة، أو نغمة، تشبه نغمة المغاوير!.. وكانوا فور وصولهم ينزلون عندنا. وكذلك ليلة مغادرتهم بعد انتهاء الموسم، حيث يعملون طيلة أيام الأسبوع في بيوت أهالي باره، ما عدا نهار الأحد الذي يمضونه بطوله عندنا.
وزارنا ذات مرة عمنا المرحوم عيسى بتوزا، دون أن أعرف الغرض من زيارته، لكنني اتذكر أننا أثناء حديثنا عن تعليمي الجيد في المدرسة، راح هو ليستل شيئا من جيبه، فإذا به قلم جاف معدني قدمه هدية لي، فشكرته وأضفته إلى المجموعة التي أبتاعها لي والدي في سفرته الاخيرة إلى الموصل.

گمارك.. شرطة.. بناؤون... وشقراء تتحدث الانكليزية...

بمرور السنين كان عدد الضيوف يزداد، كذلك ازداد عدد أفراد أسرتنا حيث وُلِدَ شقيقي باسم في الموصل أيضاً. ورغم ان وجود الضيوف صار أمرا مألوفا في بيتنا، إلّا أن بعض الزوار كان يثير الاهتمام والفضول حقا، خصوصا بالنسبة لنا نحن الصغار. فبالإضافة إلى من ذكرتهم، كان يتردد علينا رجال من الجمارك بملابسهم الرسمية والغترة والعقال على رؤوسهم، تقلّهم سيارة البيك أب ذات المدفع الرشاش. ومثلهم كان الشرطة، والذين جاءوا ذات ليلة بصحبة رجل عجوز يبكي طول الوقت، وقد علمنا بعد حين أنهم يبحثون عن ابنته الصغيرة ذات السنوات الأربع التي يعتقد أن - حرامية - قد سرقوها.
وذات ظهيرة توقفت سيارة أمام البيت، وعندما خرجنا لاستقبال من فيها، إذ بسيدة شقراء تتحدث الإنجليزية تلقي علينا بالتحية بصحبة اثنين من العراقيين. تناولوا طعام الغداء وانطلقوا مسرعين. وقد عرفنا بعد حين أنهم بعثة تنقيب. لكنني لم أعد أتذكر تنقيب عن ماذا: أثار؟ معادن؟ مياه جوفية؟ أم شيء آخر؟ فقد سمعتهم يرددون كلمتي (مجلس الاعمار) أكثر من مرة!
وفي إحدى الليالي استقبلنا مجموعة تعمل في البناء; أُسطه ومساعديه. وكان الوقت صيفاً فصعدنا فوق السطح الكبير للمنزل. وظلوا يغنون عددا من الأغنيات الموصلية حتى حان وقت النوم، بعد أن تناولنا طعاماً اعتادت أمي أن تطبخه بكل ما أوتيت به من سرعة، خصوصا عندما يكون عندنا ضيوف. وكانت الوجبات تعتمد اللحم والرز أو البرغل وما هو متوفر من مستلزمات المرقة. وإذا لم يتوفر اللحم يكون البديل هو الدجاج حيث يخرج "رشو" فرّاش المستوصف إلى الفناء الخلفي ليلقى القبض على ديك أو اثنين!
وكانت تساعد أمي في إعداد الطعام عمتي كرجية وجدتي التي بقيت معنا معظم سنوات إقامتنا في باره. وقد زارنا ذات عطلة صيف خالنا المرحوم الدكتور جميل بوداغ - الطالب في كلية الزراعة/ جامعة بغداد آنذاك. إلّا أن المرحوم خالي بطرس جاء للإقامة بيننا مدة أطول بعد تعيينه معلماً في مدرسة باره، التي صار مديراً لها. ومكث هناك بعد مغادرتنا. وفي فترة إقامته معنا إحتلَّ غرفة الضيوف بمنتجاته من الطيور والحيوانات المحنطة والثريات التي يصنعها من قطع الخشب الصغيرة، بعد أن يقوم بنشرها وصبغها باللون الذهبي أو الفضي. فضلا عن خياطته للحقائب و"القماصل" الجلدية التي كنا نستعمل بعضها ونهدي الباقي للضيوف أو نأخذه معنا إلى الموصل أو ألقوش.

جلال أخو خاتون...

إحدى زياراتنا إلى ألقوش في أوائل الخمسينيات.

وقبل رحيلنا من باره بنحو شهر أو أكثر، جاء للإقامة بيننا رجلان: كهلٌ يعتمر "السدارة"، وابنه الشاب الذي عرفنا لاحقا أنه جلال جرجيس الموظف الصحي الذي سيحل محل والدي. وهو شقيق المرحومة خاتون الممرضة زوجة الموظف الصحي المرحوم اسطيفان أبونا المعروفين من كل اهالي ألقوش. وخلال فترة إقامة جلال ووالده، كان الموظف الوافد يطّلع على كل تفاصيل العمل والحياة في مكانه الجديد، حيث يقدم له الوالد كل ما يسهل له سبل عمله هنا، لتجري بعد ذلك وفي الأيام الأخيرة التي سبقت مغادرتنا، العملية المسماة ب "التسليم والاستلام".

وقد كانت تلك الأيام المتبقية لنا في باره شديدة الوطأة علينا وعلى الكثيرين ممن عشنا معهم سنوات خمس مليئة بالذكريات الجميلة. أناس أحبونا وأحببناهم، وتعاملنا مع بعضنا بصدق. ولكن أكثر ما آلمنا هو فراق "رشو" الذي ظل متشبثاً ب "اللوري" المحمل بالأثاث. وقد حُشرنا نحن في مقدمته. ظل رشو يبكي ويرفض الترجل، رغم الالحاح الشديد من والدي والسائق بأن يترك السيارة ... حتى تم تنبيهه أخيراً بضرورة التَرَجُّل لأن السائق مضطر لزيادة السرعة.. وهكذا ودَّعنا والدموع تغرق وجهه الأسمر الحزين..

عندما وصلنا إلى الموصل شعرنا أننا في مدينة نعرفها، مألوفة لدينا. فأثناء إقامتنا في باره، كان الوالد يزورها في أوقات متباينة من السنة، وغالبا ما نكون معه فنتوقف فيها كمحطة في طريقنا إلى ألقوش. وفي بعض الأحيان كنا نأتي للمكوث فيها خلال الفترة التي كان اخوالنا بطرس وحسقيل وممو وجميل يعيشون فيها قبل انتقالهم للعيش في ألقوش، وبمعيتهم أولاد عمهم كرجيه وسمرية وصبري وفرج، وقد سكنوا لفترة في بيت مشترك مع عائلة حنا كجو، وعائلة يوسف شمعون حبيدش... وبالقرب منهما عائلة ابراهيم گوريال القس إيليا رحمهم الله جميعا. ويبدو ان هذا البيت شهد بداية الصداقة المتينة بين الوالد وطالب الاعدادية آنذاك المرحوم وديع كجو، لتتوطد أكثر بعد انتقالهما للعيش في ألقوش ومن ثم في بغداد، كذلك تعرفنا على شقيقيه الاستاذين المرحومين حميد ورمزي، وقد أصبحنا مع جميع افراد هذه العائلات العزيزة اشبه بأسرة واحدة كبيرة.

وطيلة فترة إقامتنا في الموصل، ظلت فكرة أننا أصبحنا قريبين إلى ألقوش، تسيطر علينا. فقد التقينا وتعرفنا على الكثير من العائلات الألقوشية. وكنا نستقبل الوافدين منها ونسافر إليها بالشكل الذي يلائم التزاماتنا المدرسية والتزامات الوالد الوظيفية، الذي أمضى فترة عامين بين (1956-1958) من العمل المثابر في مستشفاها الرئيسي "الملكي" وفي دار التمريض. كما تعرف على المزيد من الأطباء المعروفين من عائلات سرسم ورسام وتبوني وغيرهم. وقد سكنا في العام الأول في منطقة مسكنتة التي تضم الكنيسة القديمة بنفس الاسم. والبطريركية الكلدانية والمطرانية ومدرسة شمعون الصفا الابتدائية للبنين، التي تخرجت منها، وأنهى فيها شقيقي باسم الصف الأول، وفي هذه المدرسة ايضاً زاملتُ وصاحبتُ اقراناً لي من القوش مثل الصديق سالم أسعد ومؤيد أسطيفو وكمال ممّو وهاني بطرس وغيرهم. بينما نجحت شقيقتي باسمة إلى الصف الرابع في مدرسة الراهبات للكلدان، حيث كانت قد انهت الصف الثاني في مدرسة باره. وهناك كان من بين جيراننا في المنطقة عائلة المرحومين موسى شكوانا وبطرس خندي وسلمان أودو، كما أقام هناك ابن خال الوالد عزيز أوراها قوجا وشقيقته سمرية ويزوره بين حين وآخر شقيقه بدري حيث كان الاول يكمل تعليمه في الموصل. وفي العام الثاني سكنّا في بيت كبير بالزقاق الذي تقع فيه عيادة الدكتورة الشهيرة سيرانوش الريحاني، حيث تأخذنا إليه بضع درجات من شارع نينوى، الذي تكثر فيه العيادات والصيدليات. ومنها صيدلية شاشا وصيدلية أديب، وغيرهما. وقد شاركتنا في ذلك البيت الكبير مجموعة من العائلات الألقوشية منها: عائلة يونس جلّو ورحيم القس يونان وموسى موكّينا (زوري)، كما كان الوالد يلتقي بين الحين والاخر بصديقه مركب الاسنان الألقوشي المعروف يونس رحيمة، رحمهم الله.

وكان يجاورنا هناك البيت الذي عرفناه دوما ب "بيت خالي يوسب". حيث نمضي فيه يوما أو أياماً في حلنا وترحالنا، وهو المرحوم يوسف هومو، الذي تربطنا به قرابة متأصلة وعلاقات عائلية حميمة. وهو جد طالب السيمينير "كامل" لأُمه "هيلانه" وأبيه "إسحاق كتو" رحمهما الله، والذي صار الأب ثم المطران "جاك اسحق"، وأشقائه: عفيفة وحازم وأنجيلا، والمرحومين صبرية وسالم. وقد كان خالنا هذا موظفا مخضرماً في "متصرفية" الموصل، يعتمر "السدارة"، ويملك مكتبة كبيرة غنية، وله اهتمامات بالخطين السرياني والعربي، وكذلك بالكثير من القضايا التاريخية. ولطالما جلس والدنا معه للإصغاء الى أحاديثه وذكرياته. كما كان مغرما بتربية زهور الجمبد الموصلي العطر، ويوليه اهتماما لافتاً، رغم صغر حديقته التي تتوسط الحوش، بينما كان القادم من السيمينير يمنحنا فرصة الاستمتاع بمشاهدة "سلايدات" رائعة عن اماكن دينية معروفة في العالم، ولطالما حلَّ في بيتنا في ألقوش زائراً هو وأفراد أسرته وزملاء له فإننا كُنّا "بيتاً واحداً".

وأخيراً في ميناء المحبة ... ألقوش...

كانت هذه هي الأجواء التي عشناها في الموصل، وكنا قد أصبحنا أربعة أشقاء، حيث وُلِدَ عصام هنا. وفي أحد أيام صيف 1958، جاء الوالد إلى البيت بعد دوامه الطويل المرهق، والضحكة تملأ وجهه:" أبشركم، نقلوني إلى ألقوش...!". قفزنا فرحا وبدأنا من تلك اللحظة نتهيأ لمرحلة جديدة.

وفي أول عهده بالوظيفة في ألقوش، استأجر الطابق العلوي من بيت المرحوم شمعون حنينا، الذي كانت شرفته ونوافذه تُطلُّ على بيادر محلة تحتاني والسهل المنبسط على مد البصر. يخترقه طريق ألقوش - شرفية، بقناطره المعروفة. بينما شغلت دائرة البريد بِبَدّالتها الطابق الأرضي. وفي هذا البيت وُلِدَ شقيقنا عماد.

الطابق العلوي من بيت شمعون حنينا -البريد -أول مسكن لنا بعد نقل الوالد الى ألقوش .مقتبسة من فيديو بعنوان" القوش لؤلؤة المدن "للمعماري عماد رمّو.

وهنا يصح القول إن هذا الموظف المنقول حديثا، لم يشعر لحظة واحدة ولأول مرة بأنه في مكان غريب، كما كان يحصل معه عندما ينقل من مكان لآخر، بل أن هذا التحول شَكَّلَ ولادة زمنٍ لطالما انتظره بشوق. فبعد نحو عقدين من الإبحار والترحال، ها أن سفينته ترسو أخيرا في ميناء المحبة الكبير، والتي كان الاستقرار فيها يعني إحياء الصداقات القديمة وتقوية الروابط مع الأهل والأقارب والمعارف ... إنها العودة إلى الاصالة، الى الطفولة، إلى كل ما تعنيه ألقوش بعد الغربة. وكان يحلو لهُ في كثير من الأحيان ارتداء زيه الألقوشي الشعبي - الشال والشبك - وخصوصاً في المناسبات التي تستدعي مثل هكذا زي.

باسم وعصام مع الوالدين بالزيّ الألقوشي الأحب الى قلبيهما

الأصالة أحلى دائما

كان يحلو له مشاركة الآخرين مناسباتهم

وكانت الإقامة في ألقوش تعني أيضا استرجاع الذكريات سواء مع اهله أو أبناء جلدته أو مع الكثير من الأشخاص الذين عايشهم طيلة سني خدمته وتنقلاته، حيث ظلوا يسألون عنه ويتابعون أخباره رغم بعد المسافات وانقضاء السنين... فقد ظل على صلة دائمة بصديقه القديم: حاجي رسول محمد وعائلته، الذي كان قد تدرَّج في الوظيفة وأصبح قائممقاماً لقضاء الشيخان بعض الوقت في الستينيات- إذ كانت ألقوش تتبع له إداريا قبل تلكيف - ثم أصبح نائبا لمحافظ السليمانية، فمحافظاً لها، فوكيلا لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية.
كما ظل وصديقه الألقوشي سلمان أودو (وهو أحد كبار الموظفين في رئاسة صحة الموصل) يتبادلان الزيارات الشخصية والمهنية، والعائلية ايضاً. كذلك صديقه الوفي "وعد الله"، الموظف الصحي في قضاء سنجار، الذي زارنا في ألقوش بضع مرات بصحبة عائلته، والذي كنا نتوقف في بيته في سنجار كلما سافرنا من باره إلى الموصل.
وذات يوم وبينما كنا نهم بالخروج من بيته، رأيت رجلا بلحية كثةٍ، مكللاً بالسواد يسير في الشارع، يرتدي رداء طويلا وقبعةً بذات اللون تشبه الطربوش. وعندما لاحظ مضيفنا علامات التساؤل على وجوهنا الصغيرة نظر إلينا مبتسما ثم قال: "هذا قس الكنيسة القريبة"... ومنذ ذلك الحين عرفت أن ثمة مسيحيين، عدا عمّو "وعد الله" يقطنون سنجار.

صديقه الحميم وعد لله وعائلته في بيتنا في ألقوش.

وفي أحد الأيام طرق الباب لنتفاجأ بوجه "رشو" يطلُّ علينا. فنأخذه بالأحضان، حيث جاء مع قريب له محملاً بقلائد التين المجفف، التي يشتهر سكان منطقتهم بصنعها مع أشكال نحتية يتم التحكم بها بعد تكسير التين وتليينه وعقده أو عجنه ولطالما حملنا تلك الفاكهة اللذيذة المجففة معنا الى الاقارب والمعارف في كل مكان نذهب اليه..
وكم كانت سعادة الوالد كبيرة عندما جمعه لقاء ذات يوم من شتاء 1963 في الموصل أو ألقوش ولربما مكان آخر... لم أعلم يومها، وبعد فراق يزيد عن ثماني سنوات بواحد من أكثر وجهاء منطقة سنجار شعبية، وهو الشيخ اسماعيل، أحد شيوخ المنطقة، ويأتي إلينا، غالبا، من قَصَبَة جَدّالة، والذي يتمتع بشخصية محبوبة جذابة، ولن تصدقوا أن شيخ اسماعيل كان أحد الذين دخلوا على خط الوساطة الرامية للإفراج عني، حيث كنت ضمن أول دفعة من الطلبة والمعلمين والموظفين الذين تم اعتقالهم بعد 8 شباط من تلك السنة. هذا ما أبلغني به ابي وعلامات الامل بإطلاق سراحي واضحة على وجهه إثر احدى زياراته الاخيرة لي، حيث كانت كل أسر المعتقلين تسعى إلى تحشيد الجهود والوساطات للإفراج عن أبنائها. ولقد كان ما فعله الرجل أنداك يدل بما لا يقبل الشك على صدق المشاعر وعمق محبته للوالد، وأتذكر إنه كان يستقبله بالأحضان كلما جاء الى باره بسيارته البيك أب، حيث يمكث معنا بعض الوقت.
ولن تصدقوا ايضا انني تمكنت من تحقيق امنية معلمي في باره خوشابا شمعون بتذوق تفاح "كاني ماسي" الشهير، وان من قدمه لي كان الاستاذ خوشابا نفسه، وذلك داخل الغرفة التي جمعتني واياه خلال فترة التوقيف التي امتدت الى نحو ستة اسابيع، في مركز شرطة الجامع الكبير بالموصل، حيث حمله اليه احدهم "صوغة" في احد ايام مواجهة المعتقلين بزوارهم ... وكانت لحظة اعجز عن وصفها، تلك التي جمعتنا معا، ظل الرجل يتطلع الي... غير مصدق ما يرى بعد ان عرفته بنفسي... اطال النظر الي ثم قال هامسا: ماذا يفعل "واحد" يافع بعمرك في مكان كهذا..؟
ابتسمت قائلا: "ما يفعله الجميع بالتأكيد.. ". ثم ضحكنا بقدر ما سمحت به ظروف الزمان والمكان...!

وهكذا يمكن لقائمة الأسماء أن تطول... اصدقاء ومعارف أحباء يذكرهم الوالد واحدا بعد الآخر بشوق وحنين دون أن ينسى الوقائع والتواريخ. وفي الحقيقة فان الاماكن التي كان يشتاق إليها كثيرة ومتباعدة، فحيثما وُجِدَ واحد من أقاربه أو أقارب زوجته، يحنّ إليه ويتمنى زيارته، فكان يشدّ الرحال إلى كركوك للقاء عائلة شقيقته المرحومة وارينة، ويذهب أحياناً في رحلة طويلة إلى البصرة للقاء ابن عمّته وصديق العمر أنيس، أو يأخذه القطار، وبعد زمَنٍ "النيرن" أي الباص، لزيارة بغداد حيث تقيم شقيقتاه إستير وشكرية وأخواه سعيد ويونس وعمتنا الصغرى كرجية بعد أن لحقت بهما.. كما كان يجد سعادة كبيرة بلقاء مجموعة مقربة الى قلبه من عائلتي أخوال أمنا المرحومين حبيب نونا أبونا وأخيه بحّو، وعائلة الأخ المرحوم ميخائيل هرمز رمّو، صهر الأول، والذي صرنا بعد سنوات جيراناً له في الغدير، حيث ربطته بهم علاقة تحولت الى صداقة امتدت لسنوات عدة، ومثلما كان يزور تلك العائلات في بغداد، كان يسعده لقاءهم في ألقوش في مناسبات يشهدها بيتنا أو بيت أخوالنا أو بيت عائلة أخيهما المرحوم عيسى نونا أبونا ومن ثم عائلة المرحوم موسى أبونا.

وبحكم موقعه الوظيفي والاجتماعي نشأت للوالد علاقات حميمة بمرور الزمن مع المزيد من الشخصيات سواء من الموجودين في ألقوش أو من الوافدين إليها، أمثال مثلّث الرحمة المطران عبد الأحد صنا والخوري عبد الأحد عوديش والخوري هرمز صنا، والاب يوحنان جولاغ ورئيس دير السيدة العذراء حافظة الزروع " السفلي" ورهبانه و دير الربان هرمز " العلوي" و الكهنة، وسيادة مطران ابرشية القوش وتوابعها ميخا مقدسي الذي كان كاهناً في قضاء الشيخان حينذاك رحم الله المتوفين منهم و أدام العمر للأحياء... كذلك كانت علاقاته مع مديري الناحية المتعاقبين على المنصب، ومديري الثانوية الاستاذين المرحومين منصور عودة و من بعده جرجيس حميكا و مع مدرّسيها في تلك الفترة الذين شكّلوا مع باقي الموظفين و مديري المدارس الاخرى ومعلميها واجهة متعلمة في بلدتنا، وفي مقدمتهم الرّواد المرحومين يوسف ريّس وإلياس مدالو "إلياس بابا"، والأجيال التي تلتهم امثال حنا بتي ويعقوب شكوانا وبطرس لاسو وياقو عوصجي، وميخا بجّوري وصادق خوشو والاخوين وديع وحميد كجّو والاخوة حبيب وباسم ونوئيل اولاد بحّوعوديش ونوئيل قيّا بلّوالذي عُرِفَ والده بعمله سنوات طويلة في مستوصف القوش، وعبد المسيح عبدوكا من عينكاوه وحنا القس يونان وحنا متوكا و جرجيس بولا و يوسف حميكا وهرمز قاشا وعابد بتي ورحيم كتّو وعبد المسيح بلّو، وحنا شدا وسعيد شامايا وجميل حيدو وبطرس قاشا أطال الله بعمر الاحياء منهم ورحمته الواسعة على الراحلين، وغيرهم من الذين تعذّر ذكر أسمائهم لكثرتهم، ولكنهم يعيشون جميعا في ضمائرنا بالتأكيد وهم مجموعة كبيرة من المعلّمين والمدرّسين الذين نفتخر بدورهم في تربية الاجيال من ابناء بلدتهم... وهنا نتذكر ايضاً علاقته مع واحد من الاطباء المعروفين الذين أنجبتهم ألقوش ألا وهو المرحوم الدكتور أبرم إيشو الذي مارس الطب لعقود في دهوك.

كما قامت علاقات صداقة مع وجهاء القرى الأيزيدية والمسيحية والكردية، استمرت طيلة سنوات وجوده في ألقوش، وفي مقدمتهم المرحوم تحسين بك رئيس الطائفة الأيزيدية وإخوانه، وشيخ سيدو مختار قرية الجراحية ومام يوسف -أبو انويا- من قرية الشرفية واخرين.

تنصيب مار بولس شيخو وعودة البرازاني...

وفي أول عهدنا في ألقوش ايضا، شهد أبناؤها والموصل وتوابعها وبغداد والعراق والمنطقة كلها حدثين بارزين: الأول تمثل بتنصيب مثلث الرحمة غبطة مار بولس شيخو على كرسي بطريركية بابل على الكلدان في العراق والعالم، في كانون الأول من عام 1958، حيث ذهبت مع الوالد وجموع غفيرة إلى الموصل لتهنئته والاحتفاء به ونيل البركة من غبطته.. حيث احتفت ألقوش بشكل خاص بهذه المناسبة، معبرة عن فخرها واعتزازها بالثقة الكبيرة التي مُنحت لواحد من ابنائها كي يتولى منصبا روحيا رعيته بالملايين المنتشرين في العراق والمنطقة وشرق المعمورة وغربها، ولقد كان مشهداً مؤثراً عندما حمل أهالي ألقوش غبطته على الاكتاف وهم يهتفون بحياته...

وأما الحدث الثاني والذي جاء في ظل الأجواء والمتغيرات الجديدة في البلاد فتمثل بعودة القائد الكردي مصطفى البارزاني رحمه الله إلى العراق. فذهبنا ضمن وفد ألقوش الشعبي لتقديم التهاني والترحيب بعودته. وقد شعر الوالد إن لهذه الزيارة معنى خاصا إذ سبق له وأن التقى وحضر مجالس تلك الشخصية فترة عمله في بارزان.

وفي وقت مبكر من مطلع الستينيات وتأكيدا على رغبته في الاستقرار في بلدته، وكي يوفر سكنا أفضل لأسرته، قرر أن يشيد داراً حديثة، ضمت أربع غرف كبيرة وصالة معيشة واسعة مع باقي الملحقات. بينما احتل سرداب أو قبو أو ما يسمى مَوصلّيًا ب "الرَهرَه"، إحتل مساحة تعادل غرفتين أو أكثر تحت أرضية البناء، والتي كنا نمضي ظهيرات الصيف فيها لبرودتها. في حين افترشت الحديقة الجزء الأيسر من ممر الدخول من الباب الرئيسي وصار الكَراج على الجانب الأيمن.

وبهدف توفير المتانة المطلوبة للبناء، قرر الوالد الاعتماد على الأسمنت، والمسلح منه، في البناء. فكان بذلك أول بيت من نوعه في ألقوش... وهو يقع في محلة تحتاني نفسها، في الشارع المؤدي الى السوق القديم مرورا بكراج سيارات الأجرة.

بيتنا في ألقوش وقد كبُرَت أشجار الحديقة.

بيت الذكريات ويبدو جبل ألقوش من بعيد.

اما الجيران والذين ربطتنا بهم العلاقات الأخوية المتينة لأكثر من 12 سنة، فما زلنا نحمل أجمل الذكريات وأصدق المشاعر عن تلك الأيام واصحابها. وما زال العديد منا على اتصال ببعضهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو الهاتف أو الزيارات إن أمكن.
فإلى الجنوب منا كانت بيوت المرحوم الياس جيقا الذي عُرف بمحطة الوقود، ثم المرحوم يونس بولا، الذي سكنه المرحوم رحيم جعفو لاحقا، والذي ابتاع بيتنا بعد فترة من انتقال العائلة للعيش في بغداد. ثم قبالتنا قطعة الأرض التي صارت أول متوسطة للبنات ثم نادياً للموظفين، وإلى الشمال منه زقاق قصير ضيّق يؤدي الى بيتٍ صغير سكنته جارتنا الطيّبة إستير، أم يوسف رحمهما الله وشقيقتاه التي انتقلت إحداهما إلى جوار ربّها بينما دخلت الثانية سلك الرهبنة، ثم يليه بيت المرحوم سليمان جاورو، ثم المرحوم شمو كردي. والى الشمال من بيتنا كان بيت المرحوم يا قو تومكا. ثم بيت المرحوم يونس دمان وشقيقه كامل دمان، أطال الله عمره... وصولاً الى بيوت المرحومين إلياس وسمو بولا واسحق حنّونا وعيسى جولاغ وآخرين... وفي الزقاق الجانبي كانت بيوت المرحومين عبد بولا ويوسف توسا، حيث عمل الوالد لفترة مع ابنته الدكتورة بلقيس في مستوصف ألقوش. ثم دار الشقيقين غريبو وإبراهيم حيدو ويونس جولاغ وكريم تيزي وغيرهم... والذين تعذّر ذكر اسمائهم جميعا نقول لهم ان مكانكم في القلب دائما.

كادر مستوصف ألقوش، من اليسار :الممرضة خاتون فالدكتورة بلقيس فالوالد فالدكتور جورج فالمساعد داؤد.

صورة تجمع الوالد من اليسار فالدكتورة بلقيس فالدكتور جورج فالممرضة خاتون فالموظف الصحي عزيز عوصجي.

وعلى ذكر المستوصف، فلقد كان لجيرانه هناك منزلة خاصة أيضاً تطورت الى صداقات متينة وتحضرنا مثلاً علاقته بالأخ الصديق عابد رزّوقي اللذين بقيا على وفاء متبادل حتى بعد مغادرة الوالد لألقوش، فبعد كل هذه السنين وكلما التقيناه يهتف قائلا بكل تأثر: يا هلا بأولاد أخي العزيز...
وفي هذا البيت اقتنى الوالد السيارة الشيفرولية طراز 1952. وبذلك كان صاحب أول سيارة خصوصي في ألقوش. كما حصل على أول هاتف أرضي بيتي لتأمين اتصالات الأسرة وللحالات الصحية الطارئة. بل كان الهاتف في خدمة كل محتاج من أقارب وأصدقاء وجيران وخصوصا المعلمات اللواتي أتينَ من خارج ألقوش وأقمنَ في بيت المرحوم سليمان جاورو أو مدرسات متوسطة البنات. فضلا عن أن الكثيرين من رواد الكراج و"البنزين خانة" كانوا يستفيدون من خدمة الهاتف. وكانت الهواتف تعمل بالبطارية في ذلك الزمن.

السنوات الاولى في بيتنا الألقوشي

مع سيارته الشيفروليت.

جبران، محفوظ، هوغو ... و"سعيد أفندي"

وإلى هذا البيت نقلنا مكتبتنا التي كان الوالد قد اقتناها في أول شبابه في سنوات متزامنة مع بداية حياته المهنية. وظل يرفدها بالمزيد كلما استطاع ذلك. وكان يكتب اسمه على كل كتاب في الزاوية العليا اليسرى من الصفحة الأولى بعد الغلاف، "مِن كُتب شابا توما" ثم يضع توقيعه.

لقد كان قارئاً دؤوباً خصوصا فترة وجوده في المناطق النائية. يقرأ كل ما تقع عليه يداه، كتاب أو جريدة، مجلة أو كراس.

وقد ضمت المكتبة مجموعة من الكتب الدينية والمجلات الطبية والمؤلفات الأدبية من قصص وروايات وشعر، أعداد من سلسلة كتابي، وأكثر منها روايات الهلال وغيرها. والتي بواسطتها تعرفنا على أدب جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وجرجي زيدان ومصطفى لطفي المنفلوطي ونجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله وإيليا أبو ماضي والرصافي والزهاوي وشكسبير وديكنز وهوغو وبلزاك ودوماس وسومرست موم وتولستوي وتورجنيف وبيرل بك وغيرهم.

وقد أَسَّسَت هذه المكتبة لعشقٍ متنامٍ للقراءة عندنا. والفضل بذلك يعود لصاحب المكتبة الذي قال لي، ومن بعدي لباسمة وباسم وعصام والآخرين: "عليكم بالقراءة. فضاء المعرفة واسع، وفراغ العطلة كبير." كان ذلك في صيف انتقالنا الى ألقوش. كنت اتهيأ لدخول المتوسطة. وكان مكانها في دير مار قرداغ بالبداية، قبل انتقالها إلى مدرسة شيشا.

كذلك كان يحب مشاهدة الأفلام. ففي الموصل يأخذنا بعد أن يتأنق "على عادته" إلى دور العرض السينمائي بين الحين والآخر، خصوصا الأفلام التاريخية والعربية والأهم منها العراقية "إن وجدت". وقد بقينا نتحدث ونتناقش في فيلم (سعيد أفندي) عدة ايام.

"هنا لندن"... هنا مدرسة البيت..

كان يحب نشرات الأخبار أيضا. فهي الوسيلة الوحيدة في تلك الأرجاء زمنذاك التي نعرف من خلالها ما يدور من حولنا في العالم وفي العراق. ومن أجل ذلك لم يَدّخر جهدا في سبيل اقتناء جهاز راديو من أجهزة ذلك الزمان... كان حجمه يعادل حجم غسالة الصحون أو الثلاجة الصغيرة في يومنا هذا. وكان الراديو يعمل بقوة البطارية السائلة - بطارية السيارات - والتي تخفت طاقتها بمرور الوقت، وحسب مدة التشغيل. وعندها يجب اعادة الشحن بربط بطارية الراديو الضعيفة ببطارية سيارة أثناء دوران محركها لتوليد الطاقة. وهنا كان علينا أن ننتظر قدوم سيارةٍ ما عدة أسابيع أو أشهر لعدم وجود مولدات كهرباء أو اجهزة شحن مثل ما هي منتشرة في زمننا هذا.

وفي أحد الأيام، في باره أو طقطق... لا أتذكر تحديداً، ونحن نقوم بشحن بطارية الراديو (خارج البيت طبعا، لأن السيارة واقفة في الشارع) تجمع الكثيرون لمشاهدة هذه العملية العجيبة. وما أن تمت المهمة وأدارَ الوالد مفتاح تشغيل الراديو، وانطلق صوت بشري من ذلك الجهاز الجامد قائلا: هنا لندن.. حتى أطلق معظم الموجودين ساقيه للريح ظنا منهم أن عفريتاً يسكن هذا الصندوق...!

ولأنه كان ربُ أسرة بامتياز، عَلَّمَ أولاده على التحلي بالأخلاق الحميدة والسلوك الطيب. كان يربيهم على الصدق والأمانة في عملهم وحياتهم. ويذكر شقيقنا الدكتور باسم، أن الوالد استوقفه وعلى وجهه ملامح من الجدية الواضحة موصياً إياهُ بالعمل وفق تلك الأسس. كان ذلك عندما تم تعيينه رئيسا لقسم الفسلجة والأدوية في كلية الطب البيطري بجامعة بغداد عام 1993، وكذلك عندما عُرِضَ عليه تولي منصب عمادة الكلية بعد أحداث 2003، محذرا من الانقياد إلى مغريات المنصب. كذلك كان شأنه مع البقية. وكان يسعى لأن يظل معلماً ناجحاً لأولاده حينما كانوا صغاراً. فيلقنهم دروس القراءة والإملاء وجدول الضرب. ولا ينسى أن يعطيهم الواجب البيتي وهو في البيت. وكان يفعل ذلك رغم مشاغله، إيمانا منه بأن الاجيال الجديدة يجب أن تستفيد من الفرص المتاحة لها الآن، والتي لم تحظ بها الأجيال السابقة. وهو كان يفتخر بكل واحد من الشباب المقربين إليه عندما يبلغ مرحلة متقدمة في تعليمه أو كل من يحصل على شهادة جامعية أو أعلى، خصوصا من أولاد شقيقاته واخوته.

وبمرور السنين حصد كل من أولاده ما زرع لهم، عندما واصلَ الجميع الدراسة وحقق كل منهم ما يتمناه بعد الإعدادية وصار مؤهلا لحياته المهنية. فهناك رياض: الصحفي، حامل الدبلوم المهني في الصحافة من المانيا وبكالوريوس من كلية الادارة العامة. وباسمة: خريجة السكرتارية، وباسم: أول طبيب بيطري ألقوشي وحامل الدكتوراه من أمريكا وحاصل على لقب بروفيسور جامعي. وعصام: المهندس المعماري المبدع الناجح، وأول مهندس معماري ألقوشي يتخرج من جامعة عراقية. وعماد: المصور المعروف والحاصل على بكالوريوس الفنون السمعية والمرئية. ورعد: الرسام الموهوب ودارس علوم الادارة. ورواء: خريجة معهد التكنولوجيا. ووفاء: مدرسة اللغة الإنجليزية المتميزة، وهم آخر ثلاثة ولدوا في بيتنا الألقوشي هذا.
وفي ظل أجواء كهذه كان من الطبيعي أن يترك رب الأسرة فراغا كبيرا إذا ما ابتعد عن أفرادها بعض الوقت. وقد جَرّب ذلك عدة مرات. ففي مطلع الستينيات نقل إلى أتروش لبضعة شهور. ومرة ثانية إلى الجراحية ثم إلى الرشيدية قرب الموصل في العام 1963 ولمده سنة. ولأن المدة طويلة نسبيا، استأجر بيتا في حي الفيصلية ليكون على أقرب مسافة ممكنة من محل عمله ومن مدارس أولاده في الوقت عينه. وكما في كل مكان، ترك أجمل الانطباعات لدى سكان تلك الناحية وجيرانه في الفيصلية بعدما أنهى المدة المحددة له هناك..

لعبة القدر...

وهكذا عاد ثانية الى ألقوش. عاد الى أصدقائه ومعارفه ومجالسه التي تضم كل الذين تعرفوا على شخصيته المميزة. التي تجمع الهدوء والوقار بالمرح وحب المزاح، الخلق الطيب بكرم الضيافة. فتراه يستقبل زواره ببشاشته وترحابه المعهودين، ومعشره اللطيف. فيتواصل معهم في جلسات طويلة دون الأحساس بالملل، لكثرة ما يتخللها من أحاديث وسرد للذكريات وقصص واحداث ومواقف عاشها في سني عمره.
حيث شاركته هذا الكم من الذكريات والمواقف ولنحو ربع قرن، زوجته ورفيقة دربه الطويل، أمنا "جوري"، التي كانت العمود الثاني الذي يتكئ عليه بيتنا. فوقفت سنداً له في معركته وهو يبني مستقبل أسرته، متحملة معه عبء العيش في الأماكن البعيدة والمناطق النائية المحرومة من أبسط أنواع الخدمات. ساعية لتأمين كل سبل وأجواء الراحة له ولا بنائهما. بل وحتى ضيوفه الذين كانوا يكنون لها كل تقدير واحترام، لما تظهره من أشكال الترحيب وحسن الاستقبال. فهي تنافس زوجها في الطيبة وكل الصفات التي يتحلى بها، ناشرةً أجواء من الألفة التي يشعر بها كل من يدخل بيتها.

جلسة في الشرفة السفلية في بيتنا في ألقوش

وفي نفس الشرفة :عصام ورعد وعماد مع الوالدين

العائلة مع عصام في يوم تناوله الأول.

إلّا أن قدر الإنسان الذي لا مهرب منه، أصابنا بالصميم يوم رحيلها المفاجئ في 27 تشرين الأول 1967. وهي في ربيع العمر، 35 عاما فقط... ثم قالت وداعا للدنيا ...وداعاً للذين تركتهم صغاراً: رواء ثلاث سنوات، رعد سبع سنوات، عماد ثمانية، عصام إحدى عشرة. بل حتى نحن أولادها الكبار شعرنا بأننا عدنا صغارا بعد رحيلها المبكر...وبفقدها انهارت خيمة السعادة التي عشنا في ظلها تلك السنوات. ثم كانت الإرادة التي لا رادّ لها. نعم لقد كان رحيلاً صاعقاً صادماً للجميع، وخصوصا زوجها الذي شعر أن الدنيا قد أدارت ظهرها له تماما، بعد كل هذا العمر من البناء لبنة فوق أخرى. فغابت الفرحة من بيتنا هكذا فجأة.

وبعد بضع سنوات، لم يدم مقام العائلة طويلا في ألقوش، ففي منتصف عام 1972، انتقل الجميع للعيش في بغداد، للحاق بنا " رياض وباسمة وباسم" حيث انخرطنا في الدراسة بالجامعة، خصوصا وأن الوالد كان قد تقاعد عن العمل الحكومي بعد 30 سنة خدمة أو أكثر. وكان أيضا قد اقترن بزوجته الثانية صبيحة عبد الأحد القس. تلك السيدة الورعة التي تولت رعاية شؤون البيت وصغاره.... وجعلت عجلة الحياة تدور فيه ثانية، ولا يسعنا إلّا أن نسأل الرحمة على روحها من جديد ونقول شكرا يا "أم وفاء" ... والدة أختنا الصغرى، فقد كنتِ رمزا للوفاء حقا، ولقد قامت بيننا وبين أفراد أسرتها جميعاً أوثق أواصر المحبة سواء خلال فترة وجود الوالد في ألقوش أو بعد انتقاله إلى بغداد.

ثم دار الزمن دورته مرة أخرى لتهتز أركان بيتنا وأسرتنا من جديد، بمصاب جلل آخر، فَتحَ جراحاً قديمة لم تندمل بعد، برحيل شقيقتنا باسمة، في11 كانون الثاني 1998، والتي كانت تحتل مكانة خاصة في قلب أبيها. فقد كانت أُمّاً ثانية لنا بعد رحيل أمنا. تقسّمُ حبها بين الجميع بالتساوي: زوجها المحامي يعقوب حبيب أبونا، وأولادها هدير ومهند ووسيم وأبيها واشقائها وشقيقاتها. فتعمل ما بوسعها لإسعاد الجميع، وكان رحيلها وهي في هذا العمر، قد نشر غيمة سوداء أخرى ظللت حياة أسرتنا.

درجال وأوديشو في بيتنا بالغدير...

والآن وبالعودة إلى حياة الوالد وسيرته المهنية، فإنه وما ان استقر بنا الحال في بغداد في بيتنا بالغدير، حتى راوده حلم العودة الى العمل من جديد، ولكن في القطاع الخاص هذه المرة. إذ أن شخصا مثله يحمل ذلك الحب الكبير لمهنة خبرها لزمن بعيد واختارها وهو عسكري مصاب، لا يمكن له أن يبقى جليس البيت. " أمثالي لا يليق بهم التقاعد"... هكذا كان يقول.... وهكذا دخل معترك العمل ثانية ولعشر سنوات متتالية.

فعَمِلَ كمسؤول صحي في عيادتين لمؤسستين صناعيتين هما: معمل بافرة للصناعات الورقية ومصنع فاير كنك للمراجل والسخانات. ثم كانت المحطة الأخيرة مع الشركة الإنشائية الفرنسية المنفذة لجسر وطريق الدورة السريع "دراكاج". لكنه رغم ذلك لم ينقطع عن ممارسة مهنته بعد تلك السنوات العشر. فكان يستقبل بعض الحالات في البيت ولأكثر من عقدين آخرين. معتزاً بشهادته المعلقة على الجدار وفخورا بما يقدمه من رعاية صحية خصوصا للأقارب والأصدقاء والجيران. ومن بينهم مشاهير أمثال نجمي الكرة عدنان درجال (الوزير حاليا)، وأيوب أوديشو (المدرب المعروف) واللذين كانا من جيران زقاقنا نفسه... ونشير الى انه كان يجاورنا أيضا بيت عبد يوسف زَلّا (والد المطرب هيثم يوسف) من الجهة اليسرى. اما من الجهة اليمنى، فكان بيت فريدون بولص (شقيق الشاعر سرجون بولص). كما سكنت في الجوار لمدة، أسرة الزميل والصديق الصحفي والروائي سعد هادي وأسرة الصديق المخرج التلفزيوني سمير حنّا... ولا ننسى أن نذكر بكل مودة وعرفان عائلة المرحوم يونس بولا - أبو رائد - الذين كانوا جيراننا لأكثر من خمسة عشر عاما. وبيت صديقنا العزيز صباح الريّس فضلا عن العديد من الأصدقاء والمعارف والاقارب الذين ظلوا على صلة بالوالد لمدة طويلة مثل المرحومة عمتنا أستير، والدة الدكتور عيسى بطرس، وابنتاها ريجينة وسميرة وعبد ابن عّمنا حسقيال وابن عمّنا عبد شيشا وصديقنا سعيد وكيلا والمرحومين ميخائيل رمّو - أبو سلام - ويونس رزوقي وابو حازم - يوسف ساكو- وجرجيس زرا وجميل قوجا وجارتنا كوزي علطوني وغيرهم.

ولطالما كان زوّاره يعبرون عن امتنانهم لما يقدمه الوالد من خدمات، رغم تواضعها. إلّا أنهم ونتيجة لدقته وحرصه وإتقانه لعمله، كانوا يشعرون بأن ما يقدمه هو عمل كبير آت من إنسان كبير، ليس في سِنّهِ فقط، بل بشخصيته ومكانته أيضا...اذ انه وبشخصيته هذه كان موضع تقدير واهتمام اصدقاء أولاده كذلك والذين ما ان يلتقونه مرة حتى يسعون لرؤيته من جديد للاستمتاع بصحبته. فهكذا كانت الحال مع صديق شقيقنا عصام الدكتور سعد شكري الذي صار صديقاً للعائلة كلها وطبيباً لها من خلال متابعته لوضع الوالد الصحي ولسنوات عدة، ثم مجموعة من زملاء الدكتور باسم في كلية الطب البيطري، امثال الدكاترة; ممتاز جرموكلي ومصدق سلمان وعبد الوهاب رءوف وعباس الصراف وأسامة كلّو ومنذر برزنجي وغيرهم.. والشأن ذاته مع اصدقاء عماد ومن بينهم المرحوم المصوّر الشهير إمري سليم صاحب أستوديو قرطبة والمصوّر المعروف لؤي نجم والأستاذ الجامعي رشيد الياسري، وكذلك الحال مع أصدقاء رعد، كما انه كانت تستهويه أحاديث زميلي وصديقي المرحوم مصطفى طيبه الاتي من ارض الكنانة خصوصا عندما يتحدث عن تاريخ مصر تشاركه بذلك زوجته السيدة لبنى.. وكان يكن مودة خاصة للصديقين المرحومين رياض قاسم وعارف علوان حيث اصطحبت الاخير الى ألقوش ذات شتاء مطلع السبعينيات وهناك تعارفا ثم جمعتنا لقاءات عدة في بغداد قبل ان يغادر عارف العراق بعد فترة قصيرة...

وخلال سني إقامته ببغداد لأكثر من 33 عاماً، ظل متعلقاً بألقوش مُتسقّطاً أخبارها ومتابعا للحياة فيها. وأشد ما كان يؤلمه هجرة الشباب منها، و قد زارها عدة مرات، كانت إحداها عندما ذهبنا في الوداع الأخير لابن عمنا المرحوم المهندس هيثم سعيد في كانون الثاني 1990، و الذي كان نموذجا للشاب الطيب المتعلم، و قد حزن الوالد على رحيله كثيرا مثلما حزن على آخرين لم يستطع السفر معنا ومشاركتنا لتوديعهم: المرحوم جرجيس ابن أخيه أوراها الذي فتح وزوجته حبابه اطال الله بعمرها بيتهما امامنا، كما فعل من قبله شقيقه المرحوم حبيب و زوجته المرحومة وارينا، لاستقبالنا إبّان حرب الخليج الثانية (الكويت)، المرحومين كميلة وأسحاق اللذين لم يستطع أيضا السفر معنا للمشاركة في وداعهما الاخير بألقوش بسبب وضعه الصحي، مثلما آلَمَهُ إنه لم يستطع المشاركة في تشييع سلام ابن عمنا حسقيال رغم وجودنا جميعا في ألقوش أنذاك اثر حرب العراق وتغيير النظام في 2003، فقد كان طريح الفراش، ولا يقوى على الخروج.

وبمثل هذا الحزن ودّع خلال سني حياته الماضية، ثم ودعنا بعد رحيله أعزاء في أسرته الكبيرة احتلوا مكانة عالية في نفوسنا جميعاً... إخوته حسقيال وأوراها ويونس وزوجاتهم ببي وكوزي وكرجية وأخاه سعيد، وعمتنا إستير وابنها الدكتور عيسى بطرس وإبني شقيقته ريجينا وليد وكريم ولدي جميل توسا، وعمتنا شكرية وابنها الشاب المهندس ثائرإلياس جبّوري، وعمتنا وارينة وأولادها صباح وناديه وزاهر أولاد ميخا قلّو، وجلال حبيب أوراها، تغمّدهم الله برحمته الواسعة...

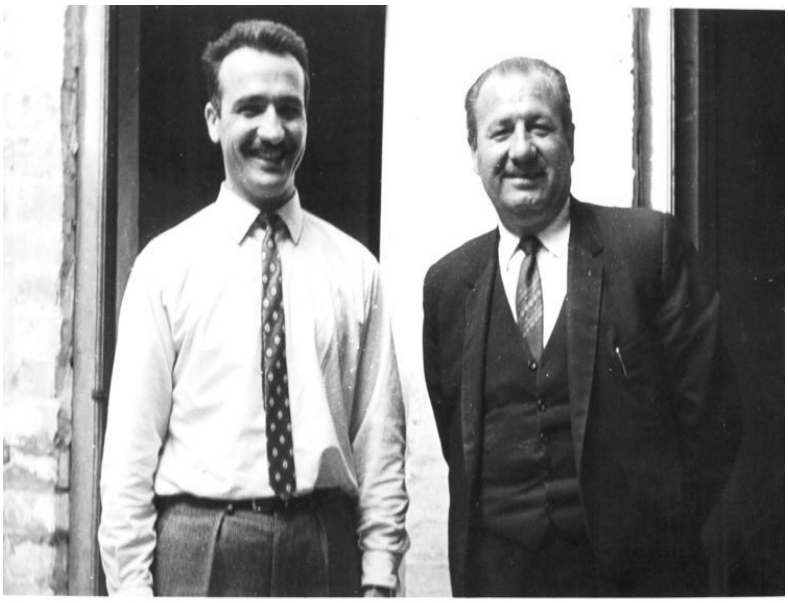

مع ابن شقيقته إستير :الدكتور عيسى بطرس.

ناهدة ابنة عمتنا وارينة زارت القوش مؤخراً وتفقدت البيت الذي عاش فيه خالها شابا.

هكذا كان.. وهكذا كانت مشاعره، فيحرص على ان يشارك كل المقربين اليه وكل الاسر التي ارتبط بها كي يكون بينهم في افراحهم واحزانهم... وهي مناسبة نترحم فيها على أرواح كل أولئك الاعزاء من أقاربنا وأصدقائنا مستذكرين محبة الوالد لهم جميعاً.. بل كل الذين عرفوه من أبناء بلدتنا الحبيبة...

في حضرة رجل لا ينسى...

نعم لقد أحب ألقوش وظل وفيا لها محبا لناسها، ولم يكن يُفوّت مناسبة تخص أهلها إلّا وسعى إليها أثناء إقامته في بغداد، ولعل واحدة من زياراته الى ألقوش التي ظل يذكرها باعتزاز كانت عندما دعي وبمبادرة من نادي بابل الكلداني للاحتفاء بأبناء بلدتنا الابطال العائدين من الأسر في التسعينيات أيضا، حيث اقيم الحفل في دير السيدة، وكان شقيقنا عماد هو المصور المسؤول عن تغطية المناسبة...

الوالد الرابع من اليسار في الصف الاول وقوفاً في ديرالسيدة العذراء خلال الزيارة التي نظمها نادي بابل الى ألقوش في التسعينيات.

وظلت صداقاته بأهلها قائمة، فيتبادلون الزيارات ويتحدثون عن بلدتهم وذكرياتهم فيها، رغم انه لم يعد يخرج كثيرا في السنوات الاخيرة بعدما أصابه الوهن بسبب المرض... ولكنه ولشدة محبته لنا ورغم حالته هذه، كان يُشعرنا بأن لا شيء قد تغير، وأن علينا أن نلتقي ونجتمع كما في الأيام الخوالي فيجعلنا نعيش ذات الأجواء التي عوّدنا عليها وبذات الأحاسيس...

هكذا كان قوياً صبورا كريماً...

وعندما رحل في 17 تشرين الثاني 2005، شعرنا بفداحة الخسارة التي أصابتنا. ونحن نسترجع كل الزمن الذي أمضيناه معه. زمن الحنان والحب ودفء العيش تحت كنفه... حين كان يحملنا ويحتضننا ويمسك ايدينا الصغيرة بيده الكبيرة كي نشب ونكبر.. ونواجه الحياة.

ها نحن نراه واقفا خلف الشباك أو جالسا على مرجوحة الحديقة في بيت الغدير ينتظر وصولنا واحدا تلو الاخر كي يلم الشمل لنحتفل بالعيد، أو نتسامر في عطلة الأسبوع، فقد كانت أحلى الساعات عنده حين نلتقي جميعا صغارا وكبارا... وكذلك كانت بالنسبة إلينا.. ولكن الساعات كانت تمضي مسرعة دائما في مجلسه الدافئ... في حضرة رجل لا ينسى.

وهو رجل لا ينسى... هذا ما قاله الجميع. وتلك كانت كلمات الذين حضروا ساعة الوداع الأخير في الحديقة ذاتها ... الأخوة أبلحد جورو وصباح الريّس - أبو صبا - "نحن نودع اليوم إنساناً صاحب فضل على كل بيت ألقوشي... ترك بصماته على حياة مجتمعها وكل مجتمع تواجد فيه..."، ومن مكانه البعيد جاء صوت يعقوب - ابو هدير- مشحونا بالمرارة: "اليوم رحل من بيننا رجل كان أباً للجميع..."

واستذكرنا كلمات الصديق الدكتور صباح بولس ديشا وهو يقول: "كم يجب أن نُعَبّر من معاني الوفاء لهذا الرجل؟ كم عالجني.. وكم لقيت الشفاء على يديه؟".

كان يونس بولا - أبو رائد - رحمه الله هناك أيضا. ثم وصل عبد ابن عمنا حسقيال وتوالى وصول الأقارب والأصدقاء والجيران والمعارف رغم الظروف الأمنية الصعبة. فقد كانت بغداد تلتهب يومها. جرحها يكبر وخوفها يشتد، تمسح الدموع من وجهها الشاحب الجميل والتشوهات تتسلل اليه سريعا وهي لا تلمح غير المجهول. أما نحن أولاده وأحفاده وأفراد أسرته، فقد كنا ونحن نتلقى التعازي نعجز عن التفوه بشيء يُعَبّر عن مغزى تلك اللحظة الحزينة. كانت العبرات تخنق الكلمات، ذهولٌ على الوجوه، وحسرة في القلب، وغصة في الحلق.

ماذا لو أن القدر أمهله مدة أطول؟ ماذا لو انه بقي معنا أكثر؟ لو انه عاش بضع سنوات أخرى؟

لكان تعرف على المزيد من أبناء أسرته الكبيرة.. ولأبتَهجَ بالمزيد من الأحفاد، يحملهم ويشاكسهم ويضحكهم.

لو انتظر وقتا إضافيا لتعرف على باقي الأحفاد.. أحفاد رياض وسهيلة: لوقا ابن نصري وزوجته إيمي بيري شابا... ونيثن ابن رؤى وزوجها فان دنحا... لَسَأَلَ عن أخبار عائلة المرحومة باسمة: لفرح بزواج مهند من نغم وسأل عما يفعله وسيم هذه الأيام.. ولأستفسر عن أحوال أبيهم، ولَحَدّثه باسم والهام عن أحفادهما راني وبراين من هدير ورنا.. وعن جوناثان وليون أولاد لورا وروبرت زيا... لاطمأن على فادي وهو يعمل ويدرس.. لَحَدّثه عصام والهام عن زواج سارة من سلام بهنام... وتابع مريم وهي تواصل تعليمها وبارك خطوبتها للدكتور ياسبر يوهانسون.. لداعب ياني ابن عماد وهَيَا وشاهد كيف يشبُّ شقيقه الاكبر يوسف ويتهيأ لتحقيق حلمه في الجامعة... لسأل عن أخبار رعد في غربته الطويلة.. لأفتخر برافل وآندي أولاد رواء وأمجد وهما يمارسان مهنة الصيدلة.. لوجد ان منصور ابن وفاء وباسل تلميذ شاطر مثلما كان كل من رفل ورغد..

نعم... لو كان الان معنا، لأضفى وجوده على حياتنا معنى أجمل بالتأكيد.